الاستلزام الحواري
في "أصداء السيرة الذاتية" لنجيب محفوظ

د٠ خلود بنت راشد الشبانات (*)

المقدمة :

إن الحوار ينشأ –في أصله– بين ذاتين مختلفتين تتعاضدان على تحقيق الهدف المتوخى منه، ويغزلانه فائدةً ووضوحا، وهو ما يُعرف بـ "مبدأ التعاون" في الدرس التداولي، ومع الانتباه إلى أن الناس تقول ما لا تقصد أحيانا، وتقصد ما لا تقول أحيانا أخرى؛ ظهر ما اصطُلح عليه في الدرس التداولي بـ " الاستلزام الحواري" لبلوغ ذلك القصد، ويظهر اختلاف الاستلزام الحواري في " أصداء السيرة الذاتية" في كون النص مرتكزا على أطرافٍ حقيقة متطابقة عند منشئه باعترافه، لا أطرافًا يتظاهر منشئُوها باختلافها؛ فالقصص المتوالية تنطرح حواراتها بين شخصيات لها ذات المرجع عند نجيب محفوظ، وسواءً أكانت شخصية نجيب محفوظ في الواقع، أم كانت شخصية نجيب محفوظ المتشظية في شخصيات رواياته وقصصه، فالسؤال هو: كيف وضع نجيب محفوظ حواراته مع نفسه فيها؟ وماهي الشروط المصاحبة للأسئلة والأجوبة التي ينسجها في قصصه هذه؟ والتي تشبه –إلى حد ما "الرواية السير ذاتية"؛ فعند النظر في أوائل القصص الواردة في أوائل هذه الأصداء يكون بطل تلك الأصداء الطفل الصغير "نجيب محفوظ" ثم الشاب والوظيفة والعمل؛ ثم يظهر" الشيخ عبد ربه التائه".

وتأتي هذه الدراسة مُتذرعة بالمقولات التداولية في تمهيدٍ يُعَرِّف بمفهوم الاستلزام الحواري، ويلقي ضوءًا على محتوى "أصداء السيرة الذاتية"، يليه ثلاثة

(*) الأستاذ المساعد بقسم الأدب – كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

أقسام تطبيقية؛ القسم الأول اختص بدراسة الاستلزام الحواري في قصص التخييل، والإيهام بالواقع وكيف خرج الحوار فيها عن مبدأ التعاون، ويليه القسم الثاني الذي اختص بدراسة الاستلزام الحواري في القصص العجائبية/ قصص الخوارق التي خلقها نجيب في "أصداء السيرة"، يتبعه القسم الثالث الذي يختص بدراسة الاستلزام الحواري في الإخباريات/ التقريريات، والإفصاحيات/ التعبيريات.

وتنتهي هذه الدراسة بخاتمة تعرض نتائجها، وثبت بالمصادر والمراجع.

التمهيد

أولا: مفهوم الاستلزام الحواري:

إن كل عملية تحاور بين طرفين تحتكم إلى جملة من القواعد/ المبادئ/ المقولات العامة المنظمة للتحاور بين طرفي الخطاب، وتحدد ما على الطرفين فعله تعاونيا لإنجاز الفعل اللغوي والوصول به إلى المعنى المستقيم، وحدد غرايس هذه القواعد وأطلق عليها اسم "مبدأ التعاون"، وأي خرق لتلك القواعد/ المبادئ / المقولات يؤدي إلى اختلال المعنى؛ وهذه المبادئ/ المقولات هي[1]:

١- الكمُّ / القدْرُ؛ وترتبط بكمية المعلومات الواجب تقديمها في التخاطب.

٢- الكيفُ؛ وتعني أن يكون الكلام صادقا؛ وتتجلى في قاعدتين:

- لا تقل ما تعرف أنه كاذب.
- لا تقل ما تفتقر إلى دليلٍ عليه.

٣- الملاءمة /المناسبة؛ وتحت هذه المقولة قاعدة واحدة تقول: كن ملائمًا، وليناسب مقالك مقامك.

٤- الجهةُ/ الطريقةُ/الوضوحُ، وتتفرع أربع قواعد:

- اجتنب الغموض.
- اجتنب الإجمال.
- كُن موجزًا.
- كُن مرتبًا.

---

(١) انظر: التداولية عند العرب، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م، ٣٣-٣٤؛ ونظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، صلاح إسماعيل، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٥م ٨٧، والتداولية من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط١، ٢٠٠٧م، ٨٤- ٨٥. والاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي ادراوي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠١١م، ٩٩-١٠٠.

فالهدفُ من مبدأ التعاونِ هو ضبطُ مسارِ الحوارِ بين طرفي التواصلِ ليتحقق هدفُ الخطابِ بين المتكلم والمخاطبِ[١]، فـ "يؤدى مبدأ التعاون إلى التواصل والتفاعل فيما بيننا مهما كانت الظروف المعتمدة ... من هذا الجانب يقتضي الفعل التواصلي من المتخاطبين عمليتين متوازيتين: الإنتاج والتأويل يحيل الإنتاج إلى التلفظ الذي يرتبط بالمتكلم بالدرجة الأولى، في حين يتطلب التأويل من المتلقي الاستناد إلى عدة وسائل لسانية وغير لسانية"[٢]. وقد أضيفت قواعد/ مقولات إلى مبدأ التعاون لغرايس لأن "النموذج الحواري الذي قدمه، لم يأخذ بعين الاعتبار العديد من السلوكيات اليومية التي تتوفر على دلالة أكبر مما شكل حقل اهتمامه"[٣]. وأهم ما أضيف هو مبدأ التهذيب المرتكز على ثلاث قواعد؛ هي:[٤]

١- التعففُ؛ فلا يفرض المتكلم نفسه على المخاطب.

٢- التشكيكُ/ التخييرُ؛ ليتاح للمخاطب حق الاختيار.

٣- التوددُ؛ بمعاملة النظير للنظير لإظهار الود.

وكذلك أضيف مبدأ التواجه، وهو مبدأ يرتكز على قاعدتين؛ هما: [٥]

١- الوجهُ (القيمة الاجتماعية التي تحددها ذات الشخص)؛ بحيث يسعى المتحاور إلى حفظ وجهه بحفظ وجه مخاطبه.

٢- التهديدُ؛ ويكون بأقوال التي تعوق بطبيعتها إرادة المتكلم أو المخاطب في دفع الاعتراض وجلب الاعتراف.

---

(١) انظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ٩٩.

(٢) قوانين الخطاب في التواصل الخطابي، ذهبية حمو الحاج، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي وزو، كلية الآداب واللغات، العدد الثاني، مايو ٢٠٠٧م، ٢٢٠.

(٣) الحوار ومنهجية التفكير، حسان الباهي، أفريقيا الشرق، المغرب، ط١، ٢٠٠٤م، ١٣١.

(٤) انظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ١١٨-١١٩.

(٥) انظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ١٢٠- ١٢١.

كما أضيف مبدأُ التأدبِ الذي يجنب الوقوع في النزاع، ويمنع التعاون، وهو المبدأ الناهضُ على ست قواعد؛ هي:[١]

١- اللباقةُ؛ عبر التقليل من خسارة الغير، والإكثار من ربحهم.

٢- السخاءُ؛ عبر التقليل من ربح الذات، والإكثار من خسارتها.

٣- الاستحسان؛ عبر التقليل من مدح الغير، والإكثار من مدحهم.

٤- التواضع؛ عبر التقليل من مدح الذات، والإكثار من ذمها.

٥- الاتفاق؛ عبر تقليل الاختلاف بين الذات والغير، والإكثار من الاتفاق بينهما.

٦- التعاطف؛ عبر التقليل من التنافر بين الذات والغير، والإكثار من التعاطف بينهما.

ومنذ مقالة " المنطق والتخاطب " و "الافتراض المسبق والاقتضاء التخاطبي" لبول غرايس الذي بحث فيهما عن مجموعة من المعاني الكلامية، ووجد أن الناس تقول ما تقصد حرفيا أحيانا، وتقصد غير ما تقول أحايين أخرى كثيرة، وسمَّى الأول " المعنى الحرفي / الطبيعي/ اللفظي"، بينما سمَّى الآخر " المعنى غير الحرفي/ غير الطبيعي/ المضمر " ، فخرج مفهوم "الاستلزام الحواري" في البحث التداولي[٢]، ويمكن تعريف " الاستلزام الحواري" بأنه "شيء يعنيه المتكلم ويوحي به ويقترحه ولا يكون جزءا مما تعنيه الجملة بصورة حرفية"[٣]، وفكرته تنهض على العلاقة بين "المتكلم/ الباث" والمخاطب، وما ينتج عن التفاعل بينهما من دلالات للخطاب، ويرمي الاستلزام الحواري إلى الوقوف على الحوارات غير الحرفية/ المضمرة في التداول، ليقدم تفسيرها/ تأويلها وفاقا للسياقات المنتجَة من خلالها، سواء أكانت نفسية ، أم اجتماعية ، أم ثقافية،

(١) انظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ١٢١- ١٢٢.

(٢) انظر: التداولية عند العلماء العرب، ٣٣.

(٣) انظر: نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، ٧٨.

وتاريخية ، وكذلك ما يعرف بعادات الشعوب وتقاليدها، فمتداولُ الكلام لا يبني كلامَه معزولا عن محيطه أو محيط المخاطب؛ وإنما اتكاءً على معرفةٍ/ فرضيةٍ عن المتلقي ومكوناته الفكرية ، وقدرتِه على استنباط المعاني/ المقاصد والاستدلالِ عليها. " فكيف يتحقق للخطاب صدقه ونجاعته؟ من خلال الإحالة إلى حقائق قابلة للملاحظة أو الاختبار في العالم الخارجي، ومن خلال ما ينشأ بين منتج الخطاب ومستقبله من ثقة وألفة وتفاهم ومن خلال الالتزام بالأعراف التواصلية الاجتماعية التي نجدها تحت مسميات التقاليد الأدبية أو أدب الحوار أو الأجناس الخطابية وغير ذلك"[١] ، وكذلك ما يعرف بعادات الشعوب وتقاليدها، لـ"أن مبادئ التداولية العامة تختلف من لغة إلى لغة/ من ثقافة إلى أخرى"[٢] ، و" أفعال اللغة تكتسب أهمية خاصة عند تحليل النصوص الحوارية من محادثات ومسرحيات، وحوارات في الرواية أو القصة، وما إلى ذلك؛ لأن المواجهة مباشرة، وفي المواجهة تلعب اللغة أدوارها المؤثرة في حسم صراعات الأفكار والمصالح ، والهُويات والأهواء والانتماءات والولاءات ، وربما في تأجيل هذه الصراعات أو تعليقها أو تفاديها"[٣].

ويأتي الاستلزام الحواري على نوعين، الأول استلزام معرفي عام/ حرفي يعتمدُ على الوحدات اللغوية مستقلة عن السياق[٤]، فلا يحتاجُ فيه المتكلم إلا إلى معرفة قوانين التركيب اللغوي، ودلالات الألفاظ المعجمية للوصول للمعاني؛ فلفظةُ "لكن" يكون ما بعدها –دائما– مخالفًا لتوقعاتِ المخاطب حسب قوانين تركيب

(١) تبسيط التداولية، بهاء الدين محمد مزيد، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م، ٨٠.

(٢) تبسيط التداولية، ٨٢.

(٣) السابق، ٥٤.

(٤) انظر: القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر، آن ريبول، دار سيناترا– المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠م، ١ / ٢٦٧.

اللغة. أما الثاني فحواريٌّ باستلزاماتٍ خاصة متغيرةٍ بتغير السياق؛ [١] حيث الأمرُ مرهونٌ بتكوين طرفي الخطاب في المعارف المشتركة.

ويتَّسمُ الاستلزامُ الحواري بسماتٍ خاصةٍ ذكرها غرايس؛ وهي:[٢]

١- قابليةُ الإلغاء؛ إذ يُعدِم المتكلمُ الحاجةَ له بأن يُضيفَ قولا يُسَيِّجُ المعنى المقصودَ كلَّه؛ وبذلك يفترقُ المعنى الصريحُ عن الضمني الذي يملك المتكلمُ إنكارَه.

٢- الالتصاقُ بالمعنى الدلالي لا بالصيغةِ؛ فلا ينفكُ عنهُ مع استبدال المترادفات ببعضها، أو العبارات، وبهذا يفترقُ عن الاقتضاءِ التخاطبي مثلا.

٣- التغيُّرُ تبعا لاختلاف السياقِ المقامي؛ فالمعنى الواحدُ يؤدي إلى استلزامات متباينةٍ في سياقاتٍ مختلفة.

٤- التقديرُ عبر سمةِ التأويلِ بخطوات محسوبة تُمكِّنُ من الوصولِ إلى المعاني المستلزمة.

٥- عدمُ الوضعيِّة؛ فالاستلزام الحواري لا يمثل جزءًا من المعنى الوضعي للعبارات اللغوية؛ لكنه يتقيَّدُ بالمعالجة المتوائمة بين المعنيين؛ الحرفي والضمني، وبين مظاهر الصدق وعدمه للقول.

ثانيا: التعريف بمجموعة القصص "أصداء السيرة الذاتية":

تُختمُ " المجالس المحفوظية" لكاتبها جمال الغيطاني بوقفة تَعَرُّفِيَّةٍ وتعريفية بالمجموعة القصصية " أصداء السيرة الذاتية" لنجيب محفوظ التي أظهرها محفوظ للنور بعد مضي عام على محاولة الاغتيال الآثمة التي تعرض لها؛ وقد كانت عملا أدبيا عصِيًّا على التصنيف، فريدا في النثرية؛ ناتجا من لبنات التأمل في

---

(١) انظر: الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، د. نادية النجار، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، مصر ط١، ٢٠١٣م، ٨٠.

(٢) انظر: القاموس الموسوعي للتداولية، ١/ ٢٧٢.

حياة محفوظ الحافلة بالفترات القاسية؛ تُعدُّ الأقرب لأن تكون سيرة صاحبها الذاتية، فهي كتاب مكون من نصوص قصيرة تجمع بين الحدث القصصي، والسيرة الذاتية، والتأمل الفلسفي، نُشرت أولا على حلقات في " أخبار الأدب" بصحيفة "الأهرام"، ثم صدرت في كتاب من "دار مكتبة مصر" ، ثم "دار الشروق"، واحتوى الكتاب على أكثر من مئتي فقرة، لكل منها عنوان، على هيئة مقاطع قصيرة للغاية، ومكثفة تتدثر بالرمزية. ورَدَ النص التالي في المجالس الذي تتضح فيه تصورات محفوظ حول أصداء سيرته: " (ونقول له إن القراء يقرءون لأول مرة عملا أدبيا على أنه هو بطله. يوافقنا نجيب محفوظ على ذلك، نعود لنذكره بما قاله من قبل إنه لن يكتب سيرته الذاتية.. ويقول..)

فيما يتعلق بالسيرة الذاتية أمليتها على جمال وصدرت في (نجيب محفوظ يتذكر)، أما الجانب الفكري والعقلي فأعطيته إلى رجاء النقاش، وعلى ما أعتقد سوف يصدر كتابه عن الأهرام في ديسمبر المقبل، هناك فتافيت ومناطق لا أسئلة جمال تناولتها، ولا أسئلة رجاء حامت حولها، إذن.. قلت أكتبها أنا، إذن أصداء السيرة الذاتية مكملة للعملين، بمعنى أن من يريد أن يعرف عني.. فعليه قراءة هذه الأعمال الثلاثة. (نجيب محفوظ يتذكر) وكتاب رجاء.. والأصداء.

(ألست معنا أن العنوان ظلم العمل.. إن كلمة أصداء لا تدل عليه تماما..)

في الحقيقة سبب لي ذلك نوعا من الحيرة، لقد وجدت أن كلمة (تأملات) كبيرة على العمل، هو أنا ديكارت يعني؟ ثم إن هذه ليست سيرة ذاتية صريحة، لكن أصداء..

(نقول للأستاذ نجيب إنها السيرة الأولى ربما من نوعها في الأدب العالمي؟) ويبتسم ابتسامة هادئة.

(هل كان لديك الوعي أنك تقف على ناحية الشعر والنثر وأنت تكتب أصداء لسيرة؟)

ربما، لقد حيرني هذا العمل، أنظر إليه فلا أجده قصة، ولا رواية ولا شعرا، ماهذا؟ تلك الحيرة وراء خوفي من الإقدام على النشر.

(هل ما زلت تشعر بالخوف يا أستاذ نجيب؟)

نعم.. أصعب شيء بالنسبة لي مواجهة القارئ، لقد مرت عليّ لحظات كدت أمزق فيها أصداء السيرة.

(لا نستطيع أن نتخيل ذلك.. أي خسارة للأدب العربي كانت ستحدث؟)

يهز رأسه صامتا.

(قلت لنا إن الأدب يتجه إلى النصوص، يعني لا يمكن تحديده قصة، شعر، رواية. هل ينطبق ذلك على أصداء السيرة؟)

إلى حد كبير..

(هل أنت مؤمن بدور اللاشعور في الإبداع الأدبي؟)

إنه أقوى عامل، بالطبع يلعب اللاشعور دورا كبيرا، وهناك من يحاولون الاستسلام له وإلغاء العقل، لكن اللاوعي لا يغيب عن المبدع"[1].

"يعد كتاب "أصداء السيرة الذاتية "عملاً شديد التفرد بين أعمال محفوظ لأنه يندمج مع المؤلف تحديدًا عند النقطة التي يتطلب عندها فضاءُ الإحباط الفارغ بما يثير السخرية إعادةَ توحيد كاملة تقريبًا بين النص ومبدعه. ويرجع المؤلف نفسه إلى الأساسيات، فقد عاد النص أخيرًا "إلى أصله ."لذلك تبذل "الأصداء" الجهد للوصول إلى «الشكل»، وهو الجهد المبذول للوصول إلى كل عنصر من عناصر الإلهام. لهذا السبب أدخلتنا «الأصداء»، ... في عملية إعادة التفكير في الكاتب، حتى في حالة إعادة تفكيره بنفسه. بحلول ذلك الوقت كان قلم نجيب محفوظ الأدبي قد اختزل إلى تأثيرات نافذة أصغر لكنها تتشابك مع ماضٍ أدبي طويل

(١) المجالس المحفوظية، جمال الغيطاني، دار نهضة مصر للنشر، القاهرة، ٢٠١٦م، ٢٩٠-٢٩١.

نُسِجَت فيه مجموعة أعمال محفوظ وصولاً إلى "الأصداء" التي تكثفت حتى أصبح كل عمل من أعماله، لاسيما المتوقع من معزوفته الأخيرة "الأصداء"، "قصة قصيرة" داخل القصة الأكبر، وبالفعل ضمن قصة محفوظ الكبرى – سواء بشكل سري أو علني... بالطبع ليست "الأصداء" نسخة مصغرة من "السيرة الذاتية" لمحفوظ وليست أيضًا "قصة" حياة محفوظ، لكنها مزيج شديد التنوع من الحِكَمِ، أجزاء متناثرة هنا وهناك تدل على الحنين إلى الماضي تم التعبير عنها من خلال إحساس بالعزيمة والإصرار والقبول بالحاضر على مضض –على أساس أنها "أصداء" من مجموعة أعمال محفوظ نفسها. .. بهذا الشأن تصبح "الأصداء" "مونتاج" للالتباس، و"مشروعًا في كتابة السيرة الذاتية" يدمج بين جهد التأليف ويستحضر أعمالاً من الأدب العربي الكلاسيكي. إنها صدى »عناصر متعلقة بالسيرة الذاتية في تلك الأعمال السردية القصصية«التي تضم مختلف التقنيات السردية التي عمل محفوظ على التجريب فيها. لكن وفي نفس الوقت، تمتعت المجموعة القصصية بحس موحد من وجود "الغرض" فيها. تمثل "الأصداء" بشكل أو بآخر النضج الثري والنهائي لتجربة محفوظ، لكنها أيضًا تبعثر الشكل الموحد على هيئة قطع أو أجزاء جذابة أصغر"[١].

(١) زمكانية النص والتناص في أصداء السيرة الذاتية، شمسن ناهر، مجلة الكلمة، العدد ١ يناير ٢٠٠٧.

القسم الأول: الاستلزام الحواري في قصص التخييل، والإيهام بالواقع:

المقصود بهذه القصص هي القصص القصيرة التي أنشأها نجيب محفوظ بعناصر لها مرجعية حقيقية في الحياة الواقعية، بحيث يصدِّقُ المتلقي الحقيقةَ الافتراضية التي تتخلق مع النص المقروء، ولا تتعداه، وهكذا بدت قصص هذا المبحث؛ يتعاضد معها عنوان العمل الجامع للمنثورات "أصداء السيرة الذاتية" عن طريق ميثاق حقيقة القول بين المتكلم والمخاطب في النص السيروي.(١) ومن هذا النوع كانت افتتاحية " أصداء السيرة الذاتية"، فأول ما يصافح القارئ هو القصة المعنونة بـ "دعاء" فيقول نجيب محفوظ فيها:

"دعوت للثورة وأنا دون السابعة. ذهبت ذات صباح إلى مدرستي الأولية محروسا بالخادمة، سرت كمن يساق إلى سجن، بيدي كراسة وفي عيني كآبة، وفي قلبي حنين للفوضى، والهواء البارد يلسع ساقي العاريتين تحت بنطلوني القصير. وجدنا المدرسة مغلقة، والفراش يقول بصوت جهير: بسبب المظاهرات لا دراسة اليوم أيضا.

غمرتني موجة من الفرح طارت بي إلى شاطئ السعادة ومن صميم قلبي دعوت الله أن تدوم الثورة إلى الأبد!"(٢).

هذه القصة فيها من المقتضيات المعرفة المشتركة بدلالة كلمة "المظاهرات" التي تحيل إلى "تجمهر الناسِ واحتشادهم في مواكب في الساحات العمومية تأييدا لشخص ما، أو لعملٍ ما، أو احتجاجًا عليه"(٣)، وكذلك المعرفة المشتركة بدلالة "الدراسة" التي تحيلُ إلى تلقي الدروس في مرحلة من مراحل التعليم النظامي في

(١) انظر: السيرة الذاتية (الميثاق والتاريخ الأدبي)، فيليب لوجون، ترجمة عمر حلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ١٢.

(٢) أصداء السيرة الذاتية، نجيب محفوظ، دار الشروق، القاهرة، ط٣، ٢٠١٠م، ٥.

(٣) المعجم الغني الزاهر، عبد الغني أبو العزم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٣م. مادة "ظهر".

مكان معين[1]، فالطرفان –الفراش، والبطل– ينتميان للمكان نفسه؛ سواء أكان مدينة، أم مبنى، مع تشاكل علاقتهما بالمظاهرات، وتباينها في الدراسة؛ وقول الفرَّاش "بسبب المظاهرات لا دراسة اليوم أيضا" هو إجابة على السؤال المضمر الذي تصفه جملة " وجدنا المدرسة مغلقة "؛ حيث "الفراش" الذي تربطه علاقة السلطة في هذا الحين مع السائل "التلميذ/ التلاميذ" يجيب عن سؤال "لماذا؟" الذي فرضه إغلاق المدرسة في اليوم الدراسي. وقد جاءت إجابته معتمدة على مبدأ التعاون في الحوار؛ وقد كان صادقا (مبدأ الكيف) كما أنها إجابة شديدة الصلة بالسؤال المضمر في حال السائل (مبدأ الملاءمة) وجاءت الإجابة واضحة (مبدأ الطريقة/ الكيف) فلم ينشأ عن الحوار أي استلزام عند المتلقي في هذه المبادئ؛ إلا أنه خرق مبدأ " الكم"؛ فقد استعمل "الفراش" كلمات أكثر من القدر المطلوب من الكلمات بإضافته كلمة "أيضا" التي تستلزم أن يكون الإغلاق قد جرى في اليوم السابق لمجيء التلميذ، ويكون بمقتضى أن الفراش والطالب على علم سابق بالإغلاق في اليوم الفائت.

وتوالى اعتماد الحوار في القصص التالية على خرق المبادئ الحوارية في التعاون، واستلزم شروطا فيه؛ ففي القصة المعنونة بـ " الحركة القادمة" يقول نجيب: "قال برجاء حار: جئتك لأنك ملاذي الأول والأخير.

فقال العجوز باسما: هذا يعني أنك تحمل رجاءً جديدا.

–تقرر نقلي من المحافظة في الحركة القادمة.

–ألم تقض مدتك القانونية بها؟ هذه هي تقاليد وظيفتك.

فقال بضراعة: النقل ضار بي وبأسرتي.

–أخبرتك بطبيعة عملك منذ أول يوم.

---

(١) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م، مادة "د ر س".

-الحق أن المحافظة أصبحت وطنا لنا ولا غنى عنه.

-هذا قول زملائك السابقين واللاحقين وأنت تعلم أن ميعاد النقل لا يتقدم ولا يتأخر.

فقال بحسرة: يالها من تجربة قاسية.

-لمَ لمْ تهيئ نفسك لها وأنت تعلم أنه مصير لا مفر منه!"[١]

فالمقتضيات في هذه القصة هي المعرفة المشتركة بدلالة الملفوظات فيها، منها "الوظيفة" التي تحيلُ إلى عمل يُسند إلى عامل ليؤديه حسب اختصاصه في إحدى المصالح الحكومية – أو غيرها- بأجرٍ[٢]، وكذلك المعرفة المشتركة بدلالة "النقل" التي تحيلُ إلى التحول من مكان إلى آخر[٣]، وكذلك المعرفة بدلالة "المحافظة" التي تحيل إلى التقسيم الإداري في بعض البلدان العربية (الولاية)، يتولى إدارتها المحافِظُ أي الوالي[٤]، و"المدة القانونية" التي تحيل إلى الوقت – قليله أو كثيره – الخاضع للنظام ومقياسه [٥]، وتتباين مواضع "الرجل العجوز" و"الموظف" بالأوليين، بينما تتشاكل في الأخريين؛ فتظهر العلاقة بين " العجوز " والرجل الموظف" علاقةَ سلطةٍ فيها قدر كبير من القهرية وتحديد المصير؛ كما أنها علاقة رَعَوية في الحين ذاته؛ فردُّ العجوزِ على قول الرجل "جئتك لأنك ملاذي الأخير" بـ " هذا يعني أنك تحمل رجاءً جديدا" خرق مبدأ المناسبة، إذ إن رد العجوز بطريقة غير مباشرة استدعى أن الرجل يفهم تضجر العجوز من كثرة المساعدة، وتوبيخه إياه لتكرار تردد الرجل عليه، وتحقيقه لرجاءاته المتعددة بطريقة استلزامية غير حرفية، كما أنها تستلزم المعرفة السابقة بين أطراف

(١) أصداء السيرة الذاتية، ٧.

(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة "و ظ ف".

(٣) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة "ن ق ل ".

(٤) انظر: معجم الغني الزاهر، مادة " و ل ي"

(٥) انظر: معجم الغني الزاهر، مادة "م د د" و "ق ن ن".

الحديث، واعتراف الموظف بما قدمه له العجوز. كما أنه خرق قاعة الكم؛ فجاء فائضا عن الحاجة التي يتطلبها قول الرجل (جئتك لأنك ملاذي الأول والأخير) فيكفي قول: ما عندك؟ الذي ترتب على أساسه قول الرجل ردا على كلام العجوز " تقرر نقلي من المحافظة في الحركة القادمة". وواصل فيها العجوز الرد مرتكزا على خرق مبدأ التعاون في الحوار؛ فخرق مبدأ الكم، والطريقة، والملاءمة، فخرق الملاءمة لأن العجوز يجيب بأسباب النقل لا على سؤال الرجل بمساعدته في عدم النقل؛ وخرق الكم من حيث إنه أجاب بمعلومات أكثر مما هو مطلوب في السؤال، وخرق مبدأ الطريقة / الكيف بالإسهاب في تعليل سبب النقل " هذه تقاليد وظيفتك" فهو بخرق هذه المبادئ استلزم بطريقة غير حرفية معنى آخر غير الذي أجاب به حرفيا، فالرجل يعتذر عن مساعدته، ويوبخه بناء على أن المتلقي على معرفة بما يتحدث عنه. والرجل يستمر في الحوار بقوله" النقل ضار بي وبأسرتي" ويكون الجواب الذي يعيد الاعتذار بطريقة غير حرفية، بل توبيخية " أخبرتك بطبيعة عملك منذ اليوم الأول" فالجواب لا علاقة له بأن النقل ضار بعائلة الرجل فلا مناسبة له، ولا يجيب لما هو ضار؟ أو هو غير ضار! فانعدم الكم في الجواب، وطريقته المسهبة في التفاصيل "منذ اليوم الأول" خرقت مبدأ الطريقة/ الكيف.

ويستمر حوار الرجل الذي يرد به على قصد الاعتذار " الحق أن المحافظة أصبحت وطنا لنا ولا غنى عنه" فيكون رد العجوز " هذا قول زملائك السابقين واللاحقين وأنت تعلم أن ميعاد النقل لا يتقدم ولا يتأخر" فالكلام ليس عن" المحافظة" وإنما إفادة أن هذا الرجاء مكرر وبإسهاب عن السابقين وإفادة عن اللاحقين وإفادة عن أن ميعاد النقل لا يتقدم ولا يتأخر والقصد تكرار الاعتذار عن المساعدة، بل القطع باستحالتها، وثبوت تلك الاستحالة باستحضار الأسلوب

القرآني في قوله تعالى:{إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}[١] ، فالنقل في موعد النقل ثابت ثبوت موعد الموت إيقاظا للعقل بالتنبيه إلى الحقيقة! فهو انتهاك لمبدأ ملاءمة الكلام، وانتهاك لمبدأ طريقة الكلام/ الكيف، وكذلك مبدأ الكم؛ فالقدر المقدم أعلى مما هو مطلوب في السؤال. هذا الخرق الهائل لمبدأ التعاون جاء في الحوار المتعلق بالقضايا المصير والتحول ومستلزما فرضية المعرفة السابقة بين أطراف الحوار قولا وإنجازا.

ويجيء الحوار واستلزاماته في قصة "مفترق الطرق" التي يقول فيها نجيب محفوظ:

"عُرِفَتْ في بيتنا بأم البيه –حتى اليوم لم أعرف اسمها الحقيقي فهي عمتي أم البيه– تجلس في حجرتها فوق الكنبة متحجبة مسبحة، طمعتُ في مصروف إضافي تسللت إلى مجلسها. وعلى فترات متباعدة تقف سيارة أمام بيتنا الصغير فيغادرها البيه، قصيرا وقورا مهيبا، يلثم يد أمه ويتلقى دعاءها. زيارته تنفخ في البيت روحا من السرور والزهو، وقد تحمل إليّ علبة من الحلوى، رجلٌ آخر يتردد على أم البيه كل يوم جمعة، صورة طبق الأصل من البيه غير أنه يرتدي عادة جلبابا ومركوبا وطاقية وتلوح في وجهه أمارات المسكنة. وتستقبله عمتي بترحاب وتجلسه إلى جانبها في أعز مكان. حيرني أمره. وحذرتني أمي من اللعب في الحجرة في أثناء وجوده. ولكنها لم تجد بُدًّا في النهاية من أن تهمس لي: إنه ابن عمتك!

تساءلت في ذهول: – أخو البيه؟

أجابتني بوضوح: – نعم، واحترمه كما تحترم البيه نفسه"[٢].

فقوله على لسان الأم: "إنه ابن عمتك" إجابة السؤال المضمر في تمهيد الحوار، وهي إجابة لم تمتثل لمبدأ الملاءمة وإن كانت لم تبتعد عن السؤال كثيرا؛

(١) سورة يونس، آية (٤٩).

(٢) أصداء السيرة الذاتية، ٨.

فهي من جهة الأم المعنية بالولد يعنيها موقع أخي (البيه) من ولدها، أكثر من موقعه من (البيه) نفسه، بينما الحال مختلفة عند السائل / الطفل ؛ فالذي دفعه للسؤال هو الشبه بين هذا الرجل الغريب و(البيه)، ونظرا لوجود الرابط بعض الشيء بين السؤال والإجابة فقد قفز الطفل للسؤال الثاني: " أخو البيه؟"، وقد جاءت إجابة الأم عن سؤال الطفل / السارد إجابة التزمت مبدأ الملاءمة، لكنها اخترقت قاعدة الكم؛ حيث جاءت الإضافة "احترمه كما تحترم البيه نفسه" زائدة عن حاجة الإجابة عن السؤال. وقد استلزمت معرفة بين المتحاورين بأحوال " البيه" مع الطفل وفرض الاحترام معه. إذ توقف الحوار عند ذلك. وهي إجابة معتمدة على الاقتضاء المتمثل في الاشتراك المعرفي بملفوظ "البيه" الذي يحيل إلى دلالة ثابتة تدل على ذي الشأن العظيم من السادة أو الأمراء ونحوهم[١].

وعند النظر في قصة "الوظيفة المرموقة" التي يقول فيها نجيب محفوظ:

"أخيرا مثلت بين يدي مدير مكتبه، وصلت بفضل اجتهاد مضن وشفاعة الوجهاء المكرمين. ألقى نظرة أخيرة على التوصيات التي قدمتها ثم قال: لشفاعتك تقدير وأي تقدير، ولكن الاختيار هنا يتم بناء على الحق وحده.

فقلت برجاء: إني على استعداد للاختبار.

-أرجو لك التوفيق.

فسألته بلهفة: متى ندعى للامتحان؟

فتجاهل سؤالي وسألني: ولماذا هذه الوظيفة بالذات على ما تتطلبه من جهد خارق؟

فقلت بإجلال: إنه الحب، ولا شيء سواه.

فابتسم ولم يعلق."[٢]

---

(١) انظر: معجم متن اللغة، أحمد رضا، دار مكتبية الحياة، بيروت، ط١، ١٩٥٨م.

(٢) أصداء السيرة الذاتية، ١٣.

فالقصة تقتضي المعرفة المشتركة بدلالة "شفاعة الوجهاء" التي تحيل إلى الواسطة التي تقضي الحاجة من صاحب النفوذ(١)، و"الوظيفة" التي تحيلُ إلى عمل يُسند إلى عامل ليؤديه حسب اختصاصه في إحدى المصالح الحكومية – أو غيرها– بأجرٍ(٢)، و"الاختبار" التي تحيل على امتحان الشخص بقياس قدرته في مهارات معينة عن طريق الإجابة عن الأسئلة(٣)، ومعرفة كلا الطرفين بوجوده.

فإن قول البطل "إني على استعداد للاختبار" إجابة عن السؤال المضمر في قول مدير المكتب "ولكن الاختيار هنا يتم بناء على الحق وحده" الذي يضمر السؤال عن قدرة التفوق في الاختبار المتفق على علم البطل بوجوده، فجاءت الإجابة منزاحة عن مقولة الملاءمة؛ لأنها انتبذت عن مقولة الكم؛ فالحق الذي اعتمد عليه مدير المكتب لا يعتمد على الاستعداد له فحسب، لهذا جاء ردُّ مدير المكتب منزاحا مع تلك الإجابة " أرجو لك التوفيق" ما دمتَ مستعدًا. ويسأل البطل " متى ندعى للامتحان؟" فتكون الإجابة بسؤال تُنبِّهُ شخصية البطل على هدم مدير المكتب مبدأ التعاون في كل مقولاته الأربع؛ فيرصدها بقوله " تجاهل سؤالي"؛ فخرق مقولة الملائمة لحقه انعدام مقولات التعاون الثلاث الباقيات؛ في إجابة مُطنبَة عن سبب اختيار الوظيفة وحكم عليها بالمشقة " ولماذا هذه الوظيفة بالذات على ما تتطلبه من جهد خارق؟" ونظرا للعلاقة السلطوية بين صاحب الوظيفة وطالبها، فإن البطل يبتلع تلك الإجابة المناهضة للتعاون المطلوب للحوار المثمر، وينتظم في التحاور معها فيقول:" إنه الحب، ولا شيء سواه" في إجابة تلتزم مبادئ التعاون من الملاءمة، وكذلك الوضوح، فجاءت موجزة، مرتبة حتى لا

(١) انظر: اللغة العربية المعاصرة، مادة " ش ف ع" و " و ج ه".

(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة "و ظ ف".

(٣) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة "خ ب ر".

تكون خطلا لا طائل منه. وأتت على قدر السؤال المكون من شطرين؛ السبب، ومشقة الوظيفة. وملتزمة بالكيف/ الصدق حيث هي عِلةُ الصبر في هذا الطريق التي ذكرها البطل في بداية القصة بقوله "أخيرا"، مع ما تستلزمه من التعريض بدوافع الآخرين –ومنهم مدير المكتب– استنكارا وتوبيخا، فأتت إجابة السكوت مع الابتسامة من مدير المكتب خاتمة للقصة.

وعند استعراض الحوار التالي في قصة " العدل":

"ذهبت إلى محام معروف بلا تردد، ما أجمل صراحته حين قال لي: أنت صاحب حق ولكن خصمك أيضا صاحب حق.

فقلت له: عرضت عليه أن نحتكم إلى شخص يكون موضع ثقتنا معا.

–هيهات أن يوجد هذا الشخص في زماننا.

–لدى خطابات مسجلة ستعرف منها المحكمة حسن نيتي.

–قد يطعن فيها بالتزوير.

–الحق أني بريء مائة في المائة.

–لا يوجد إنسان بريء مائة في المائة، ليس الأمر بالمستحيل، ألم تهدده في لحظة غضب بالقتل؟

–هو نفسه لم يأخذ كلامي مأخذ الجد.

–بل قام باحتياطات كثيرة، وزار الأضرحة ونذر النذور.

فهتفت ضاحكا: هذا هو الجنون.

–عليك أن تثبت أنه مجنون خاصة وأن محاميه سيحاول من ناحيته أن يثبت جنونك. فأغرقتُ في الضحك حتى قال المحامي: لا يوجد ما يدعو إلى الضحك.

–اتهامي بالجنون مثير للضحك.

–بل إنه يدعو للأسى.

–لماذا ياسيدي؟!

-الجنون يدعو للأسى.

-طالما أني عاقل فلا أهمية للاتهام.

-ولكن عدم الاهتمام قد يعني الجنون نفسه. فسألته بذهول: هل يداخلك شك في عقلي؟

-بل إني على يقين، اختلافكما المزمن يدل على جنونكما معا.

-لكنك أبديت استعدادا طيبا للدفاع عني؟

-إنه واجبي! وتنهد المحامي من أعماقه وواصل: ولا تنس أنني مجنون مثلكما."[١]

نجد أن الحوار هنا ارتكز على الاقتضاء بمعرفة ما الذي يتحاور الطرفان (المتكلم والمخاطب) بشأنه، ويقتضي المعرفة المشتركة بين المتحاورين بدلالة "الاحتكام" المحيلة إلى رفع الخصومة إلى شخص ليقضي بينهم[٢]، و"المحكمة" التي تحيل إلى هيئة تابعة للسلطة القضائية تتولى الفصل في النزاعات بين الأفراد والجماعات حسب صلاحياتها[٣]، و"التزوير" بدلالتها المحيلة على "تغيير الحقيقة ماديا أو معنويا بقصد الغش في سند أو وثيقة من شأنه إحداث ضرر"[٤]، وكذلك "الأضرحة" التي تدل على صيغة الجمع من "ضريح" وهو القبر الموجود في مكان مسيَّج أو ناء يبنى خصيصا للولي الصالح[٥]، و"النذور" صيغة الجمع من النذر أي ما يقدمه الإنسان ، أو يوجبه على نفسه من صدقة أو عبادة[٦]؛ والأخيران لهما حمولتهما الدينية التي تستمد منها سلطتها على مشاعر المنتمين

(١) أصداء السيرة الذاتية، ١٥.

(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصر، مادة "ح ك م"

(٣) انظر: معجم اللغة العربية المعاصر، مادة "ح ك م".

(٤) معجم المعاني الجامع، (almaany.com).

(٥) انظر: معجم الغني الزاهر، مادة "ض ر ح".

(٦) انظر: معجم الغني الزاهر، مادة "ن ذ ر"

للاعتقاد الصوفي، بينما تكتنز "المحكمة" على حمولة السلطة القانونية! فجاء الحوار موسعا في اختراق مبدأ التعاون؛ فقول صاحب القصة للمحامي "عرضت عليه أن نحتكم إلى شخص يكون موضع ثقتنا معا. "ليس له علاقة بكلام المحامي؛ لا من حيث الملاءمة؛ فالمحامي لم يطلب الاحتكام!، كما أنه جاء مسهبا بتفاصيل لم يُسأل عنها خارقا مبدأ الكم والطريقة. كما انتفى مع ذلك حكم مبدأ الكيف؛ فالكلام يحمل الصدق والكذب إذ لا علاقة حاكمة له بالسؤال.

لكن صدقه يترجح بتعقيب المحامي "هيهات أن يوجد هذا الشخص في زماننا." فالإجابة تعلق بأن المعلوم من الحوار أن الخصم رفض الصلح! إذ لا وجود للرجل موضع الثقة. ويظهر من الحوار السابق استلزام علاقة مسبقة بين المتحاورين والتي تبدو هنا علاقة صداقة بين ندين تنعدم فيها هيمنة أي طرف على الآخر مع أن الحوار كله كان منتجا من خلال عناصر السلطة سواء الدينية أم القانونية.

وشرط هذه العلاقة يكاد ينطبق على القصة "البحث" التالية:

"لدى المساء قصد المدفن الذي يجتمع فيه مع بعض الأقران للسمر والمرح وتبادل أنات الشكوى، سأله أحدهم: كيف انتهى سعيك هذا اليوم؟

فأجاب بفتور: كالأيام السابقة.

فقال آخر: إنك تضيع وقتك بين أوغاد، وعندنا أقصر طريق للرخاء.

فقال بامتعاض: هو أقصر طريق إلى السجن أيضا!

فقال الآخر ساخرا: الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم."[1]

وهذه القصة نراها كسابقاتها تبدأ بتمهيد يؤطر للعلاقة بين المتحاورين " الأقران"، لينظم الحوار بينهم بواسطة الاستلزامات الحوارية حتى يكون الحوار مثمرا؛ من مقتضياتها الإدراك المعرفي المشترك لـ "المدفن" وكذلك "السجن"،

(١) أصداد السيرة الذاتية، ٢٢.

فالمدفن تحيل إلى مكان قبر الميت وما يحيط به من بناء[١]، والسجن يحيل على مكان إيواء الأشخاص الذين صدرت بحقهم أحكام سالبة للحرية من سلطة مختصة[٢]؛ فهما مكانان يشتركان في سلب الحرية على وجه الحقيقة، لكنهما افترقا عن ذلك عند الأحياء في هذه القصة! وجاء السؤال الأول الذي تلقاه بطل القصة " كيف انتهى سعيك هذا اليوم؟" ليتلقى جوابا مخترقا لمقولات مبدأ التعاون؛ حيث قال: "كالأيام السابقة"؛ فالإجابة ليست ملائمة، إلا باستلزام العلم المسبق عند المخاطب بسعيه في الأيام السابقة، إذ السؤال عن اليوم وليس عن الأيام السابقة! كما أنها اخترقت مبدأ الكم؛ فجاء اختزالها بحذف العائد على سعي اليوم تماما، والاكتفاء بجزء من الجملة التي يمكن تقديرها بمعنى سلبي حسبما تحيل إليه جملة الحوار التالية:" إنك تضيع وقتك بين أوغاد، وعندنا أقصر طريق للرخاء" لتخترق هي أيضا مقولات مبدأ التعاون وتستلزم اشتراطات جمة حتى يغدو الحوار مفهوما بين قائله ومتلقيه؛ فالجملة السابقة تشترط أن يكون البطل قد اشتكى كثيرا من حالة العسر لهؤلاء الجالسين معه، وتستلزم أنهم عرضوا عليه العمل معهم مرارا وتكرار مغرين له بالرخاء الذي يشعرون به، والتهكم الواضح الذي ذكره نجيب على لسان المحاور" بأنه لن ينالهم عقاب ما دام أنهم لم يغيروا نواياهم ولا طريقتهم ولن يدخلوا السجن في قالب ساخر من إجابة البطل "هو أقصر طريق إلى السجن أيضا" في رد يستلزم العلم بمخالفة طريق الرخاء المزعوم للقانون وعدم الاكتراث بمخالفة الدين! فالضرب صفحا عن تحديد نوع الفعل الذي اعتمده الجلساء وهو ما يناقض مبدأ التعاون في مقولة الوضوح يأتي تحت مظلة استلزام معرفة حقيقية بين الأطراف المتحاورة، ومعرفة ناتجة عن الصداقة بين

(١) انظر: معجم اللغة العربية المعاصر، مادة "د ف ن"

(٢) معجم المعاني الجامع، (almaany.com).

الأنداد حيث الامتثال لمحاولة الإقناع لن تكون جبرية (أو مُدَّعَاة) كما تكون في العلاقات القائمة على السلطة والإخضاع.

وتتوالى الاستلزامات الحوارية – أيضا– في قصة التحول إلى الكهولة في "أصداء السيرة" يقول نجيب محفوظ في قصة " عبد ربه التائه": "كان أول ظهور الشيخ عبد ربه في حينا حين سمع وهو ينادي: ولد تايه يا أولاد الحلال.

ولما سئل عن أوصاف الواد المفقود قال: فقدته من أكثر من سبعين عاما فغابت عني جميع أوصافه.

فعرف بعبد ربه التائه، وكنا نلقاه في الطريق والملهى أو الكهف، وفي كهف الصحراء يجتمع بالأصحاب حيث ترمي بهم فرحة المناجاة في غيبوبة النشوات، فحق عليهم أن يوصفوا بالسكارى وأن يسمى كهفهم الخمارة".[1]

والاقتضاء هنا مرتبط بـ "ولد تائه" التي تحيل إلى الابن صغير السن الضائع؛ فإجابة الشيخ عن لم تكن على السؤال " أوصاف الولد" وإنما إجابة عن سؤال مضمر "لم لا تذكر أوصافه؟" فالإجابة تخترق مبدأ التعاون في مبدأ الملاءمة، واخترقت مبدأ الكم حيث توسعت في ذكر تفاصيل لم يطلبها السائل! وباختراقها لهذين المبدأين تحطم معها المبدأ الثالث وهو الكيف ففقدت المصداقية بمعناها المحسوس؛ فكيف يكون "ولدا" وهو إن وُجِدَ سيكون فوق السبعين عاما! لكن فقد المصداقية أثبت الفقد لنفسه فهو الشيخ الكبير، وجاء بلقب "التائه".

وتنخفض المقتضيات في بعض القصص عنده، من قبيل قصة " عندما التقت أعيننا" التي ألغى نجيب فيها الفضاء القصصي بمكوناته المكانية والزمانية، وتبعه بإلغاء التحديد الخارجي الدال على الشخصية، يقول نجيب محفوظ في أصداء سيرته: "مضى زمن قبل أن يلتفت إلي وتلتقي عينانا، ولما شاعت ابتسامة في ملامحه وثبتُ إلى جانبه وقلت: اقبلني في طريقك. فسألني: ماذا يدفعك

(١) أصداء السيرة الذاتية ٧٤.

إلينا؟ فقلت بعد تردد: أكاد أضيق بالدنيا وأروم الهروب منها. فقال بوضوح: حب الدنيا محور طريقنا وعدونا الهروب. وشعرت بأنني أنطلق من مقام الحيرة."[١]

هنا يكاد ينحصر الاقتضاء في المعرفة المشتركة بين المتحاورين في "الدنيا" التي تحيل على معاني "دنا"، و"دان"، و" أدنى"، و"دانية" التي تصب في القرب الشديد لدنيا طافحة بالأرواح والأجساد للأحياء والجماد؛ ومكتنزة بالمرغوب والمكروه؛ وبعد أن مهد لفهم العلاقة بين المتحاورين التي ترتب لنوع من علو طرف على آخر؛ جاء السؤال: " ماذا يدفعك إلينا؟" في الرد على الطلب " اقبلني في طريقك" يكشف انصراف البطل عن هذا الطريق سابقا؛ فقد جاء مجبرا مدفوعا لما لا يريد؛ فهو جواب قائم على الإطناب، واستجلاب معلومات لم تطلب في السؤال أو الطلب! ثم يأتي الرد على السؤال " أكاد أضيق بالدنيا وأروم الهروب منها" ملائما للسؤال، لكنه جاء ناقضا لمبدأ الكم؛ حيث جاء زائدا بالتصريح بقوله "وأروم الهروب منها" مما جعل الرد الأخير عليه ملتزما تماما بمبدأ التعاون في مقولاته المختلفة لإجابته المطنبَة؛ فالإجابة ملائمة؛ وملتزمة بالكم، والكيف!

وبناء على ما سبق فاللافت للنظر أن نجيب محفوظ في أصداء سيرته إذا انتهج فيها نهج الإيهام بالواقع – إن لم تكن واقعا من الأصل– يلتزم بأن تكون قصصا على هيئة شذرات من الوسط، تسبقها قصص بين أطراف الحكاية عُزلت عنها، وبعدها قصص لم تُذكر، وهي قصص ذات تمهيدٍ يؤطر المقتضيات المعرفية بين تلك الأطراف، ويُظهر فيها العلاقة القديمة والممتدة –سواء علاقة السلطة والإخضاع أم علاقة الندية والتكافؤ– بين أطراف الحوار ليسمح للمتحاورين بانتهاك مبدأ التعاون الحواري دون فقد المنطقية في الحصول على المقصود من الحوار.

* *

(١) أصداء السيرة الذاتية، ٧٥.

القسم الثاني: الاستلزام الحواري في القصص العجائبية/ قصص الخوارق:

العجائبي من العُجب،" والعجب النظر إلى شيء غير مألوف ولا معتاد"[١] و" العجب ميزة للإنسان لقصوره عن معرفته سبب الشيء، أو عن معرفته كيفية تأثيره فيه"[٢]، والقاص كلما أفرط في الابتعاد عن الحقيقة، وأفرط في الخيال قلَّ التشابه بين ما يقصه وبين الواقع.[٣]

والعجائبي شكل قصصي استعمل في الأدب العربي القديم؛ كحكايات ألف ليلة وليلة، والأدب الصوفي مِنْ أثرى الجوانب التراثية بالعجائبية في الأدب العربي، وقد ارتبطت عجائبياته/ أو خوارقه بالحلم والهذيان، وهو مظهر من مظاهر الذهنية البدائية؛ لذلك هو مرتبط دائما بالمعتقدات والطقوس الميثولوجية، كما أنه طريقة الصراع بين رغبة الإنسان والوسائل التي يحقق بها تلك الرغبة [٤]، ويراعى فيها أن الاقتضاء الذي يرتبط بالمتكلم في الأصل هو اقتضاء يرتبط بالمخاطب/ المتلقي أيضا؛ لأنه مستقبل الخطاب ومنتجه في آن[٥]، وقد استعمل نجيب محفوظ هذه القصص في "أصداء السيرة الذاتية" مستثمرا ذلك

---

(١) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م، ٢/ ٧٨، مادة "عجب".

(٢) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، زكريا بن محمد القزويني، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط٣، ١٩٥٦م، ٣.

(٣) انظر: أركان القصة، فورستر، ترجمة كمال عياد جاد، دار الكرنك، القاهرة، ط١، ١٩٦٠م، ١٣٠.

(٤) انظر: شعرية الرواية الفانتاستيكية، شعيب حليفي، المجلس الأعلى للثقافة، المغرب، ١٩٩٧م، ٢٥.

(٥) انظر: تاريخ نظريات الحجاج، فيليب بروتون، جيل جوتيه، ترجمة محمد الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، ط١، ٢٠١١م، ٤٤.

الأدب في إنشاء حوارات لا يمكن أن تنشأ في الواقع وتحتمل كل تلك الدلالة.

ومن هذه القصص قصة "داء" التي قال فيها: " قال الشيخ عبد ربه التائه:

بالأمس وأنا راجع من السهرة قبيل الفجر اعترضني في ظلمة الحارة شخص لم أتبين معالمه وقال لي:

أنا قادم إليكم من وراء النجوم.

فهزتني العزة وقلت بفرح: من أجلي هبطت؟

فقال بنبرة لم تخل من امتعاض: لم تسلم بعد من الخيلاء!

واختفى صاعدا بسرعة البرق.

فمن يعيده إلى ومعه الغفران؟!

فسألته: وماذا كنت تنوي أن تطلب منه

فأجاب متجاهلا سؤالي: الحياة فيض من الذكريات تصب في بحر النسيان، أما الموت فهو الحقيقة الراسخة"[١].

فبعد أن مهد نجيب للحوار برواية القول عن عبد ربه التائه، جاء القول جوابا لسؤال مسكوت عنه عن هوية القادم، فيجيب " أنا قادم إليكم من وراء النجوم" وهو جواب عن المكان المقدوم منه، لا عن القادم نفسه! ويعقب هذا الجواب سؤال عن علة القدوم وتجاهل لهوية القادم "من أجلي هبطت؟" الذي يقتضي أن "عبد ربه التائه" عرف هويته من جهة قدومه. وبما أن الاقتضاء هنا غير مؤكد[٢] ناتج من أن الخلفية المعرفية التواصلية غير مشتركة بين الطرفين، فجاء الحوار بينهما غير ملتزم بمبدأ التعاون، مستلزما لاستلزامات غير حاصلة، وغير منتج لحوار ناجح المقاصد، ارتكزت الإجابة فيه عن تجاهل السؤال.

---

(١) أصداء السيرة الذاتية، ٧٧.

(٢) انظر: التداولية جورج بول، ترجمة قصي العتابي، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠١٠م، ٥٥.

ويستمر نجيب محفوظ في نسج القصص على ذات المنوال العجائبي في أصداء السيرة إذ يقول في قصة تنزاح في خصائصها الأسلوبية إلى الخاطرة الشعرية في الوقت الذي تنتمي إلى القصة القصيرة، وإلى الحوار الفلسفي في النهاية، ووسَمَها بـ "السمع والطاعة": قال الشيخ عبد ربه التائه: قلت له بشوق وعيناي لا تفارقان طلعته: لم أر أحدا في مثل بهائك من قبل!

فقال باسما: الفضل لله رب العالمين.

-أريد أن أعرف من تكون يا سيدي؟

فقال بهدوء وكأنه يتذكر: أنا الذي كان يوقظك من النوم قبل شروق الشمس.

أصغيتُ باهتمام فواصل: أنا الذي ناصرتك على الكسل فانطلقت مع العمل.

فكرت بعمق فيما قال واستمر هو: أنا الذي أغراك بحب المعرفة.

فهتفت: نعم! نعم!

-وجمال الوجود، أنا الذي أرشدتك إلى منابعه.

-إني مدين لك إلى الأبد.

وساد صمت متوتر، وشعرت بأنه جاء يطالبني بشيء فقلت: إني طوع أمرك.

فقال بهدوء: جئت لأضع فوق عملي نقطة الكمال."[1]

إن "نقطة الكمال" الذي سيضعها مُحَدِّثُ عبدِ ربه التائهِ هي ما كان "نجيب" يتطلع إليه، فهو نفسه "عبدربه التائه" الذي وُلد عاشقا للحياة، مؤمنا بالأدب حسب أصداء السيرة، والذي خَلق بهما "حارة نجيب محفوظ"؛ علامته الأدبية الفارقة له عن غيره.

ولأن نجيب/ عبد ربه التائه شديد الصلة بمحاوِرِه المتخيَّل؛ ويشترك معه في المعرفة بالمقتضيات؛ جاء الحوار متسلسلا؛ يؤدي فيه كل طرف مهمته، ويصل

(١) أصداء السيرة الذاتية، ٨١.

بصاحبه إلى مقصودِهِ؛ وإن بدا منتهكا لإحدى مقولات مبدأ التعاون! فالبداية تحمل سؤالا مضمرا عن سبب البهاء "لم أر أحدا في مثل بهائك من قبل!" لتنظم الإجابة " الفضل لله رب العالمين" في مبدأ التعاون عامة حيث الإجابة ملائمة للسؤال، وملتزمة بالكم، لكنها انتهكت الكيف؛ فقد جاءت مُجْمَلة؛ مما يستلزم علم " عبدربه التائه" بضرورة انصراف الموقف عن التفصيل؛ فلم يأتِ إليه ليُريه طلته! مما شكل السؤال التالي – انتظاما في ذلك الإجمال– " أريد أن أعرف من تكون يا سيدي؟" وتكون الإجابة منتهكة لمبدأ الملاءمة، حيث السؤال عن الهُوية، وليست عن الفعل الذي يجيب به هذا البَهيُّ: " أنا الذي كان يوقظك من النوم قبل شروق الشمس"، و" أنا الذي ناصرتك على الكسل فانطلقت مع العمل"، و" أنا الذي أغراك بحب المعرفة"، و"وجمال الوجود، أنا الذي أرشدتك إلى منابعه"؛ مما يستلزم معرفة "عبدربه التائه" هويته من أعماله لأنه يقر بها، ولأن مقتضاها أنه يعرفها "إني مدين لك إلى الأبد". ولأن التفصيل في الأفضال يعني طلب مقابلها، وهو سبب المجيء، فقفز "عبد ربه التائه" إلى قول "إني طوع أمرك" فتأتي إجابة البَهيِّ: "جئت لأضع فوق عملي نقطة الكمال" فالإجابة تنحرف عن الملاءمة إذ ليس طلبا يقدمه "عبد ربه"؛ إنما هي استكمال فضل محاوره المتخيَّل عليه، ولعلها "أصداء السيرة الذاتية"!

وإن كانت القصة الماضية حددت الهوية المسؤول عنها بالأفعال، فالقصة التالية حددت الهوية بالاسم، فنجيب محفوظ يتابع غرائبياته فيقول في قصة " دعابة الذاكرة": " رأيت شخصا ذا بطن تسع المحيط، وفمٍ يبلعُ الفيل، فسألته في ذهول: من أنت يا سيدي؟ فأجاب باستغراب: أنا النسيان، فكيف نسيتني؟"[1]، ويظهر في القصة تشخيص/ تجسيم "النسيان" على هيئة إنسان مُستنكَر الخلقة؛ تأتي إجابته عن سؤال "من أنت يا سيدي؟" ملائمة في مبدأ التعاون؛ إذ هي

(١) أصداء السيرة الذاتية، ٤٧.

تحديد الهوية بالاسم، لكنها غير ملتزمة بالكم؛ إذ اشتملت على سؤال استنكاري يستلزم وجود معرفة لازمة سابقة بين السائل والمسؤول!

ويمهد نجيب محفوظ في القصة التالية الموسومة بـ " الزمن الحلو" للعجائبية بقوله على لسان "الشيخ عبدربه التائه": قال الشيخ عبد ربه التائه: وجدتني على ربوة أنظر إلى شاشة عرض مبسوطة في الفضاء. ورقصت فرقة من الفاتنات، وغنت على إيقاع كونيٍّ، فنثرن من حركاتهن لآلئ النور البهيج. سألت بصوت جهير: من أنتن؟ فأجبن: نحن الأيام القليلة الحلوة التي مرت في غاية من البهاء والصفاء ولم يشبها كدر"[1]. فالأيام الجميلة تجسدت بالمرأة الفاتنة، لكن الإجابة الجماعية ملائمة للسؤال المطروح " من أنتن؟" في تحديد هويتن بالاسم "الأيام"، كما التزمت بمبدأ الكيف؛ فجاءت مرتبة مُتجنِبَة الإجمالَ، غير أنها التزمت انتهاك مبدأ الكم –كما القصص الماضية– فأتت بتفاصيل سمات تلك الأيام التي لم تُطلب في السؤال.

وبناء على ما سبق فإن أطراف الحوار في هذا النوع من القصص تختلف عن القصص الأخرى في "أصداء السيرة الذاتية"؛ فهذا الحوار قائم بين "إنسان" وأمور معنوية، ويكون الإنجاز الحواري المؤدي إلى المقصود منه ظاهرا في القصص أضفى عليها سمة التشخيص/ التجسيم، حيث جَسَّم تلك المعنويات في صورة الإنسان رجلا، أو امرأة، بينما ينعدم مبدأ التعاون، ولا يصل المتحاوران إلى مقصدهما– كما في قصة "داء"– عندما يحتفظ الطرف المقابل بغرائبيته عن "عبد ربه التائه" إذ تختلف الاقتضاءات بينهما.

(١) أصداء السيرة الذاتية، ٩٣.

القسم الثالث: الاستلزام الحواري في الإخباريات/ التقريريات، والإفصاحيات/ التعبيريات:

تُعرفُ الإخباريات/ التقريريات في التناول التداولي بأنها ما يكون الغرض منها وصف واقعة معينة من خلال قضية تتميز باحتمالها الصدق والكذب، واتجاه المطابقة فيها من القول إلى العالم بحيث يكون مطابقا لواقع العالم الخارجي.(١)

وتُعرفُ الإفصاحيات/ التعبيريات بغرضها الإنجازي الذي هو التعبير عن الموقف النفسي تعبيرا يتوافر فيه شرط الإخلاص؛ أي أنه لا يقول غير ما يعتقد، ولا يزعم أنه قادر على فعل ما لا يستطيع، وليس في هذا الاتجاه مطابقة، فالمتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي، ولا العالم الخارجي يطابق الكلمات(٢)، ويدخل فيها الشكر والتهنئة والاعتذار والمواساة(٣)، "وقد لحظ سيرل بعد مناقشته لعدد كبير من الأفعال الإنجازية غير المباشرة أن أهم البواعث إلى استخدام الأفعال غير المباشرة هو التأدب في الحديث"(٤).

تتوالى "الإخباريات" و"الإفصاحيات" في " أصداء السيرة الذاتية" على منوال يكاد يكون ثابتا من التعاضد التعاوني الذي يصب في حصول مقاصد الحوار بين الطرفين؛ وهي نثريات جدا على هيئة سؤال وجواب بَوحيٍّ على سؤال دون تهيئة؛ وهذا النوع النثري قد سبق ظهوره عند "طه حسين" في مؤلَّفه "جنة الشوك" الذي يقول عن هذا النوع من النثريات في مقدمة كتابه:" هذا لون من ألوان القول لم يطرقه أدباؤنا المعاصرون؛ لأنهم لم يلتفتوا إليه، أو أنهم لم يحفلوا به، مع أنه من

---

(١) انظر: التداولية من أوستين إلى غوفمان،٦٦.

(٢) انظر: التداولية من أوستين إلى غوفمان،٦٦.

(٣) انظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٢م، ٤٤.

(٤) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ٥١.

أشد فنون القول ملاءمة لهذا العصر الذي نعيش فيه، فنحن نعيش في عصر انتقال كما يقال لنا منذ أخذنا نعرف الحياة؛ وعصور الانتقال تمتاز بما يكثر فيها من اضطراب الرأي، واختلاط الأمر، وانحراف السيرة الفردية والاجتماعية عن المألوف من مناهج الحياة"[١] لكنه لم يستثمر تلك النثريات في تدوين سيرته كما فعل نجيب محفوظ. فيقول نجيب فيما وسمه بـ "تعريف": سألت الشيخ عبدربه: ما علامة الكفر؟ فأجاب دون تردد: الضجر"[٢].

فالإجابة خبر السؤال، واتخذت الكم ذاته، فالسؤال عن علامة واحدة، والإجابة بعلامة واحدة، ومما جعلها حتمية الالتزام بالكيفية من حيث الترتيب والوضوح.

وتشترك في التعاون قصة "ذلك الحب" التي يقول فيها نجيب محفوظ: " قلت للشيخ عبد ربه التائه: سمعت قوما يأخذون عليك حبك الشديد للدنيا.

فقال: حب الدنيا آية من آيات الشكر، ودليل ولع بكل جميل، وعلامة من علامات الصبر"[٣] ، فالإجابة ملائمة للسؤال؛ فالسؤال عن الحب الشديد للدنيا، والإجابة تعليل لذلك الحب الشديد؛ وبما أن "الشديد" لا يقع إلا بجماعة أسباب متعددة؛ وهو ما جعل الإجابة تأخذ الحيز المناسب من الكم، كما أنها جاءت محكومة من مبدأ الكيف، فالإجابة موجزة، ومرتبة بجعل "الجمال" في وسط السلسلة؛ فالحب بسبب الجمال، والصبر على فتنة ذلك الجمال!

(١) جنة الشوك، طه حسين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م، ٧.

(٢) أصداء السيرة الذاتية، ٨٣.

(٣) أصداء السيرة الذاتية، ٩١.

ويقول سائلا فيما وسمه بـ "الرحمة": سألت الشيخ عبد ربه التائه: كيف لتلك الحوادث أن تقع في عالم هو من صنع رحمن رحيم؟ فأجاب بهدوء: لولا أنه رحمن رحيم ما وقعت!"[١].

فإجابة الشيخ عن سؤال نجيب وثيق الصلة به، التزم فيها بالقدر الكافي من الكلام، موجزة ومرتبة، ارتكزت على إعادة تموضع أطراف الاستشكال المنتج للسؤال، ليُنتج الإجابة/ الحلَّ وفاق منطقية ظاهرة؛ قال الله عزَّ وجلَّ: {وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُوْ فَضْلٍ عَلَى العَالَمِيْنَ}[٢]؛ فالعلم بالخير والشر، والرحمة والعذاب على وجه الحقيقة لله–تعالى–وحده.

ووفاق هذا المنوال يأتي سؤال نجيب محفوظ في "انتهاء المحنة"، إذ يقول: "سألت الشيخ عبدربه التائه: كيف تنتهي المحنة التي نعانيها؟ فأجاب: إن خرجنا سالمين فهي الرحمة، وإن خرجنا هالكين فهو العدل"[٣]، فالمقتضى من "المحنة" معرفة مشتركة بين طرفي الحوار بالضرورة؛ إذا هما نجيبُ نفسه السائل والمجيب، منه السؤال وإليه، يبث الإجابة ويتلقاها، وجاءت الإجابة منتظمة في مبدأ التعاون من حيث الملاءمة؛ فهي ذات وصلٍ بالسؤال، وتفيد بالقدر المطلوب في السؤال من غير بترٍ لمعناه، ولا إضافة تفاصيل لم يُسأل عنها، كما أنها مرتبة ترتيبا منطقيا، فالأصل الرحمة، والاستثناء هو العقاب!

ومع أن الأصل في هذا النوع من المنثورات اكتمال التعاون بين أطرافها المتحاورة؛ لأنهما طرف واحد بالضرورة؛ إلا أنها تنتهك مقولات التعاون أحيانا، ويظهر ذلك عندنا تستغرق بعض ذاته في السطوة على بعضها الآخر؛ فتتجه بعض بوحياته إلى تغييب الطرف المقابل لـ "عبد ربه التائه" فتغيبُ مناسبة الكلام

(١) أصداء السيرة الذاتية، ٨٦.

(٢) سورة البقرة، ٢٥١.

(٣) أصداء السيرة الذاتية، ٨٧.

الكاشفة للسياق الذي جاء القول فيه مفتوحا، ومُعَللا؛ يقول نجيب محفوظ راويا عن "عبد ربه التائه" في "التجارة": "قال الشيخ عبد ربه التائه: حذار.. فإنني لم أجد تجارةً هي أربحُ من بيع الأحلام."[١] فالتعليل للتحذير هي إجابة لسؤال مضمر فيه، يمكن تقديره بـ "لماذا؟"، لكنه خارق لمبدأ الملاءمة، فالتحذير مرتبط بالتنفير لا الترغيب!

وتكرر ذلك في النثرية الموسومة بـ "حزن الحياة" فيقول: "سئل الشيخ عبد ربه التائه هل تحزن الحياة على أحد؟ فأجاب: نعم، إذا كان من عشاقها المخلصين"[٢]، فالإجابة عن سؤال ضُرب صفحًا عن مصدره والمستهل بـ "هل" الملاءمة تكون بأحد أحرف الجواب، وتقرير الفعل من عدمه بتكراره إن أُريد تأكيد الإجابة، لكن الشيخ "عبدربه التائه" استغنى عن "تحزن"، وزاد عن حد السؤال بقوله " إذا كان من عشاقها المخلصين." التي استلزمت وجود سؤال مضمر في سؤال السائل المجهول، تقديره "من؟"، أو "لماذا؟" فبعض ذاته المتمثل في "الشيخ عبدربه" تطغى على ذاته الأولى المتشكلة في السائل، وتتسيد مشهد طرح الأفكار المتوالية، ويظهر ذلك في تجاهل السؤال، والإجابة من خلال النهايات، فالقصة الموسومة بـ " سؤال عن الدنيا يقول فيها: "سألت الشيخ عبد ربه عما يقال عن حبه النساء والطعام والشعر والمعرفة والغناء، فأجاب جادا: هذا من فضل الملك الوهاب.

فأشرت إلى ذم الأولياء للدنيا فقال: إنهم يذمون ما ران عليها من فساد"[٣] .

فالقصة تنحصر بين طرفين في حوار مباشر، غيَّب فيها نجيب محفوظ الزمان والمكان والحدث الذي جمع الطرفين، وجاءت إجابة "عبد ربه التائه"

(١) أصداء السيرة الذاتية، ٩٣.

(٢) أصداء السيرة الذاتية، ٩٦.

(٣) أصداء السيرة الذاتية، ٨٢.

بخلاف ما يُنتظر منه؛ لأن اقتضاء "الدنيا" يحيل إلى ما يُذم غالبا في المرجعية الثقافية والدينية، وجاء السؤال تلميحا عوضا عن التصريح استنادا إلى ذلك الاقتضاء، فالسؤال عن صدق ما يقال عنه من كذبه، أو سبب ما يقال؛ لكن إجابة "عبد ربه التائه" –وإن كانت ملائمة– انتهكت مبدأ الكم فقد جاءت مختصرة، كما أنها انتهكت مبدأ الكيف حيث جاءت مجملة في الرد على سؤال تفصيلي عن خمسة أشياء؛ فاستلزمت التصريح بطلب التفصيل "أشرت إلى ذم الأولياء للدنيا"، وذلك ناتج عن توحده مع ذاته المتشكلة في "عبد ربه التائه" ليُسيطر المعنى النهائي، والحقيقة المستقرة في ذاته تلك على الحوار منبعثا من إحساس الطهارة، والولاية، وحق تقسيم الصلاح والخطيئة، لكنه لا يلبث إلى العودة إلى التوازن بين الذاتين؛ فتنتظم إجابة السؤال التصريحي "أشرت إلى ذم الأولياء للدنيا" في مبدأ التعاون من حيث الملاءمة فهي شديدة الصلة بالسؤال، وكذلك من حيث الكم فهي إجابة على قَدرِهِ؛ فلا زيادة في التفاصيل، وملتزمة بالكيف فهي مرتبة وموجزة غير مجمَلة.

الخاتمة:

تنتهي هذه الدراسة الموسومة بـ " الاستلزام الحواري في "أصداء السيرة الذاتية" لنجيب محفوظ" بالوصول إلى النتائج الآتية:

١- استندت الحواريات إلى التركيز على العلاقات القديمة والممتدة في قضية فرض الاستلزامات الحوارية بين الأطراف، واتخذها نهجا في القصص المعتمدة على الواقعية والإيهام بها، وتركَّز استعمال ذلك والاتجاه إليه في مرحلتي الطفولة والشباب من السيرة، فتمظهرت تلك المرحلة بصورة التعلم من الحياة، والناتج من مواقفها المتعددة.

٢- الحواريات في مرحلة الكهولة- التي تمثل تمام المعرفة وإعادة الإنتاج- انتهجت طريقين؛ أولهما فصمُ عُرى العلاقة، وقطعها بين أطراف الحوار إذا كانت من نسج الأدب الغرائبي الذي استثمر نجيب محفوظ شيوعه في الأدب العربي منذ القدم؛ وتصل فيه الأطراف المتحاورة إلى العجز عن التعاون الحواري، وينفرط منها عقد الاستلزام الحواري لتبقى تلك الحوارات مفتوحة.

وثانيهما التوحد بين الأطراف المتحاورة؛ فيحاور نجيب محفوظ نفسه بتجرد شديد في حوار تنطبق فيه العلاقة على بعضها من جهة الباث والمتلقي فيما يمكن أن يُكَوِّنَ الجزء الأخير في "أصداء السيرة الذاتية"؛ وكان الأصل بين المتحاورين -هنا- اكتمال مقولات التعاون؛ إذ السياقات المنشئة والاقتضاءات والمشتركات المعرفية واحد حين يحاور الإنسان نفسه؛ بيد أن نجيب محفظ يفقد السيطرة على توازن ذاته الأصل مقابل ذاته المتخيلة مما أدخل تلك النثريات في قناة الاستلزام الحواري حتى يكون الحوار ناجحا.

المصادر والمراجع:

١- أركان القصة، ا.م. فورستر، ترجمة كمال عياد جاد، دار الكرنك، القاهرة، ط١، ١٩٦٠م.

٢- أصداء السيرة الذاتية، نجيب محفوظ، دار الشروق، القاهرة، ط٣، ٢٠١٠م.

٣- الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، د. نادية النجار، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، مصر ط١، ٢٠١٣م.

٤- الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي ادراوي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠١١م.

٥- تبسيط التداولية، بهاء الدين محمد مزيد، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

٦- التداولية جورج بول، ترجمة قصي العتابي، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠١٠م.

٧- التداولية عند العرب، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

٨- التداولية من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط١، ٢٠٠٧م.

٩- جنة الشوك، طه حسين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م.

١٠- الحوار ومنهجية التفكير، حسان الباهي، افريقيا الشرق، المغرب، ط١، ٢٠٠٤م.

١١- زمكانية النص والتناص في أصداء السيرة الذاتية، شمسن ناهر، مجلة الكلمة، العدد١، يناير ٢٠٠٧م.

١٢- السيرة الذاتية (الميثاق والتاريخ الأدبي)، فيليب لوجون، ترجمة عمر حلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

١٣- شعرية الرواية الفانتاستيكية، شعيب حليفي، المجلس الأعلى للثقافة، المغرب، ١٩٩٧م.

١٤- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، زكريا بن محمد القزويني، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط٣، ١٩٥٦م.
١٥- القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر، آن ريبول، دار سيناترا- المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠م.
١٦- قوانين الخطاب في التواصل الخطابي، ذهبية حمو الحاج، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري تيزي وزو، كلية الآداب واللغات، العدد الثاني، مايو ٢٠٠٧م.
١٧- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.
١٨- المجالس المحفوظية، جمال الغيطاني، دار نهضة مصر للنشر، القاهرة، ٢٠١٦م.
١٩- المعجم الغني الزاهر، عبد الغني أبو العزم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٣م.
٢٠- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م
٢١- معجم متن اللغة، أحمد رضا، دار مكتبية الحياة، بيروت، ط١، ١٩٥٨م
٢٢- نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، صلاح إسماعيل، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٥م.

* * *